

مناقشات

أحمد المهديني بين اللغة المعضلة واللغة الكاملة .

النياس ادريس

إذا كانت اللغة أداة ايديولوجية فعالة في حركات التغيير التحوّلية لكتاب الواقعية النقدية نهاضة من وراء النص الغني المطروح الى احداث تغييرات عميقة في المجتمع وبنياته اللغوية والاقتصادية ، وإذا كان مفهوم الكتابة - ايديولوجيا - هو التعبير عن حالات جماعات وأفراد سواء بالطريقة الكلاسيكية المألوفة أم بطريقة مغايرة تستمد قواعدها وأساليبها من النواضع المعاش والصراع الاجتماعي وحركة الواقع محلا ومركبا لا معكوسا ومحورا فانها - أي اللغة - تصبح أكثر من مجرد أداة - أراد ذلك الكاتب أم لم يرد - إذ تصبح من بين البنيات المهمة التي لا سبيل للاستغناء عنها لفهم النص الأدبي . وبالتالي لاحداث التغيير عن طريق الفن . بل وقد تصبح البنية الأساسية في النص الى جانب ذاتية الكاتب وخلفيته الثقافية وغير ذلك (كما يظهر ذلك من خلال كتابات أحمد المهديني القصصية) .

ونود باديء ذي بدء أن نشير الى أننا لن نقوم بطرق كل نتائج الكاتب المذكور وسنحاول بالمقابل تحليل نماذج معينة من تركيباته القصصية المعقدة وبذلك نكون قد أفسحنا لأنفسنا المجال للدخول الى عالم الكاتب المضرب المحاط بكثير من الظلال والأسئلة العرجة ونقط الاستفهام أي أن موضوعنا سيكون مدخلا صغيرا لدراسة عالم المهديني القصصي ...
والعالم الذي نود الدخول اليه عالم متخيل وقائم بذاته ويكاد يكون منفصلا عن القاري، وعمومه اليومية إذا لم نقل منفصلا عنه بالفعل ، الشيء الذي يدفعنا الى البحث عن طريقة واعية للولوج الى داخله . وأظن أن هذه المهمة تحتاج الى « قراءة خاصة لنصوصه » وقد لا نجد القدرة على ذلك عند القاري، المعاني وقد يتعامل الناقد مع هذه النصوص بتحمض كبير وللجانبيين الحق في عملية كهذه ذلك أن مغامرة شكلية من هذه النوع يجب أن نهاط بكثير من التساؤلات عن جدواها غير أننا كذلك لا يجب أن ننسى بعض الخصوصيات في الكتابة التي تميز نتائج أحمد المهديني في الرواية والقصة القصيرة . ولن نؤكد كثيرا على نقطة التمييز هذه ما دامتنا كتابته قد تفاعلت مع كتابات أخرى متقدمة - شكليا - وما دام التجريب لا يقف عند حد معين بل يظل كاشفا مستمرا عن اصول جديدة من أجل بحث وعي حاد باللحظة الحضارية وبالتغيرات التي يعرفها العصر .. وقد نتساءل عن ماهية القصة ونوعيتها : لماذا نكتب ؟ لمن نكتب ؟ أية كتابة تصلح لمراحلنا التاريخية الراهنة ؟ كيف يجب أن نكتب ؟ وكثير من الاسئلة المنطقة بالمتلقي وعلاقته بالمبدع والنص . وقد يرفض الناقد الايديولوجي هذه الكتابات لاهمالها شرطا أساسيا في العملية الابداعية : القاري .. وقد يقبل البعض المضمون دون الشكل أو الفكرة والموقف دور اللغة والتركيب متناسيا أن القصة وحدة متماسكة لا يمكن تجزئتها الا في حالات نادرة من أجل استقراء الخطوط العريضة التي تميزها عن الأنواع الأدبية الأخرى . ذلك أن لقصة - أية قصة - يوفر لها كاتبها شكلا ومناخا ملائمين لتعبير عن موقفه تجاه التناقضات التي يزرخ بها الواقع .. وهي بهذا المفهوم موقف من الصراع الدائر بين القوى المتناحرة داخل المجتمع سواء كانت كتابة تقليدية أو رومانسية أو تفجيرا عنيفا لطاقت اللغة - نموذج المهديني - أو أداة تغييرية : (واقعية سياسية - اجتماعية) نموذج ابراهيم بوعلو - ومن أجل هذا كله لا يمكننا تناول نصوص المهديني ككتابة بريئة . (إذ ليست هناك كتابة بريئة)
من هنا تأتي أهمية الحديث القصصي والروائي عند المهديني ذلك أنه لا يمكننا تجاهله كصاحب كتابة تجريبية (رغم توقف عملية التجريب لديه على نوع قائم ..) بدعوات مختلفة .. وسنحاول هنا النظر لنوعية الكتابة التي تعتمد على اللغة كبنية أساسية لتشكيل عالمه القصصي ومضامينه .

اللغة والماضي : يقف الحديث القصصي عند المهديني موقفا مضادا من براءة اللغة (الصمت) حيث يريد لها الكاتب أن تكون موازية في عنفها للعنف السياسي والقهر الذي يمانيه المجتمع على صعبجي الفرد (تمزقات الكاتب : البورجوازي الصغير بين ذاته وادصاره داخل ومسح

المجتمع) والجماعة . فيطلق العنان للقصة في الانسياب بعد انتقاد ذكي للكلمات ونحتها مما يجعل القصة عنده تكون شبيهة بالفصيدة النظرية : « أتجبر . لا أعلم هل من زمني هذا أبدا لم من زمن آخر أم أنترصد وجه الذبح لأونة فنكت وجه الروع وبانتت في زمن آخر .. » كما يعدد الى تكسير قواعد اللغة العتيقة وتحطيم علاقاتها المقتنة تاركا الجمل تنساب تارة في حديث قصصي هادي ، لنقطع تارة أخرى في احداث منتهكة بذلك حرمة النوع الكلاسيكي المألوف وهانكة و بكارة اللغة ، كما يقول هو نفسه . ورغم الانتهاك والتدمير والتقديم فالمؤلف لا يملك بديلا موضوعيا (لغة / الوصف) سواء حملته على الماضي وكل ما له علاقة بالماضي الذي أتى بالفساد والشر والاستعمار والتخلف والكبت وترك بصمات واضحة على الجيل الجديد .. (سنعود لهذا الموضوع في دراستنا عن رواية « زمن بين الولادة والحلم) . غير أن هذا الشكل باعتباره نموذجا منظرافا مضادا للوعي الساذج الذي تحمله كتابات عديدة سرعان ما يحكم على نفسه بالسكونية والتوقع - التي يحارب المؤلف من أجل تجاوزها - ويرجع ذلك لفقدان العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر ، بين الموروث والمعاصر ، ولكونه لا يستفيد من تجارب الاولين المشرقة وبالتالي لا يربط النتائج بالمفاهيم بل يكتفي برفض ما قدمه الاجداد رفضا باتا غير موضوعي . ونجد أن لهذا الرفض بعض المبررات التاريخية أبرزها أنها - أي الكتابة - رد فعل - مهما كان متمزقا وحادا - للمصالح الليبرالية للبورجوازية الوطنية التي كانت ترى أنه من مصالحها الحفاظ على الماضي وتقديمه في اطار مولكلوري براق ناصع عاكس صورة ايجابية (مفرطة في الايجابية) لحياة السلف الصالح . كتابة المديني إذن ومن هذا المنظور رد فعل للنظرة المنطرفة التي تبكي الماضي ولا تؤمن بآي تقدم دون الرجوع الى « الاصل » (أي التراث السائد : الرجعي غالبا) وتضيئه على حياتنا المعاصرة - رغم الاختلافات الزمنية - تطبيقا تليا دون أية محاولة تجديدية طيفا لمتطلبات الحياة الجديدة ونمعا لذلك يقوم أصحاب هذه الفكرة بتحريف مشوه للتراث العربي في أكثر جوانبه اشراقا ويكيفون مع مصالحهم الليبرالية للبورجوازية الاحادية الجانب ..

من هنا تتكرر مأساة الانسلاخ عن الجلد (الماضي - السلف) عند المديني ، ودعت أو تسلخ عنك جلدك . حاولت ذلك مرة . أنتحيت مكانا خاليا وشرع يخلع عنه جلده بحيطه وخذر حتى لا يمسه خدش أو تمزيق . اقتلع شعر رأسه واهدابه وحاجبيه وما لهجت لبطيه ووفره . للعلماء . ونزع الجلد كله أخيرا وحمله وكان الدم ينزف وشهد الناس . وجاء المزداد ونشرد بين الارضية والمعروضات الاخرى وحين لم يساومه أحد وحين لم يببته الخلق أو يصبهم الذعر أو القرف ، أخذ يطلب أي ثمن مقابل أي شيء .

لم يكن الوحيد إذ ما هي سوق يأكملها لسلخ الجلود الاممية . حينئذ تقدم يطوف براسه بين الناس وسأل من يشتري جلدا بلحم بشري ، مخلوقا أميا بنصه وفصه وتعام خلفه كما خلقه عز وجل ! أيها المومنون القائلون للساجدون اطالب ببيع رقبتيها ها أنذا فتى طري العود عريض سمخ اصلح لكل ما تريدون وتشتهون مطبخ خنوم ومعطأ . تأملوا هذه الطراوة والنعومة تأملوا هذه البديانة هذه .. كان عاريا تماما وكانت الارض قد عجنت بالاميين من صفه والفضاء خراب ومن الخلف فراغ ومن الامام فراغ ولم يطلع بعد انسان جديد ، (.. من قصه « لا نطاق » - افلام المغربية) وتتحول فكرة الانسلاخ عن الجلد هذه شيئا فشيئا الى مشروع عملي يبدأ الفرد وتشاركه فيه الجماعة التي ترفض الماضي ولا يبقى لها منه سوى ذكريات قليلة مشوهة « استوفوني عند نقطة الحدود عند شقة تاسيس عمراني جديد وسألوني لمانا اطلب الهجرة قلت « انه الخروج من الارض وقبلا خرجت من جلدي وذآكرتي تأتي أن تخرج مني » في المقابل هناك فكرة ملحة في التجاوز والانعقاد « اكسجينني . انطلقني خارج وثائق التآمر المحيوك ، خارج الجرح وأحزان المتاحة . كلي واشربي من العهد الآتي » (المفرد والمثنى) .

تحدد اللغة فتخرج الاحداث والشخصيات - عند ما توجد - عن منطقيتها وعلانياتها وتصبح اللغة فعلا واسعا للإدانة . ادانة الجذ والسلف ، ادانة التاريخ والماضي التي أتى بالتخلف والقهر . وادانة كاملة للذات والآخرين تبلغ حدود اليأس والقنامة والاستسلام « بصوت مزدهم الثبرات مكتسح بانغام الهزائم والسبات العميق مشدودين كنا مشدودين صرنا مشدودين ما نزال اليك مولانا وسيدنا لا طاقة لنا بيدوك أنت السيف ونحن الاحشاء الممرمة أنت للكل أنت انواحد أنت الجمع وأنت المفرد . مسرعين مقبلين متبرين ركضا زحفا هجمة ويقظة ارغوا الاعلام وهلوا له بالانصر المبين وانثروا له القبلات » « تكوين »

« وفوق كل شيء كان الناس منشغلين بأنفسهم عن الدنيا وأوصافها ومرجها ومرجها وصداعيا وسياستها واقتصادها واجتماعها وخورها » (تكوين) .

« هيا استعدوا للخروج ، للعراء ، فانا اتلطف معكم . لا نتهاوسوا لا تنتشاوروا متى كنتم أمة للتشاور والمشورة خستتم ، أمة لتحقيق العلم المبرح وسماع التشديد الوطني المبرح وشر

الشيء المبرح ، (المفرد والمثنى)
اللغة الكاملة واللغة المعضلة :

إن رفض الماضي رفضاً باتاً وفوضوا وإرادة الانسلاخ عنه كما رأينا ستؤيدان حتماً وضرورة لرفضه الحاضر نظراً للترايط الجلي بين ما يوجد في حاضرنا وما ينتمي للماضي باعتبار أن الحاضر امتداد طبيعي للماضي وأن كل مرحلة مرت في تاريخ الإنسانية تمثل عدداً من التجارب والتطورات ومن أجل ذلك لا نستطيع أن نفرصها عن باقي المراحل الأخرى لأنها استمرار لمراحل تاريخية مختلفة ذات خصوصيات مختلفة فحسب بل لأنها أساس الحقب الآتية - مهما تميزت بخصائصها ومهما كان تطورهما الداخلي - لذا نرى أن الحمل على حقبة تاريخية معينة (الماضي هنا) لن يفيد العصر الزمان في شيء ، ما لم ننظر إلى تلك الحقبة على أنها مجمل التطورات التي وصفت إليها أمة ما وما لم تميز بين ما هو سيء فيها وما هو جيد .. أما الرفض القاطع للماضي فقد أدى في مرحلة معينة من تاريخ الأمة العربية ، أو بالأحرى إلى اليأس العربي في مرحلة معينة إلى الفشل على كافة الأصعدة : السياسية والاجتماعية ... وكان عليه أن يعيد نظرته إلى الماضي والتراث العربي .. وهذا ما نشهده في الوقت الزمان عند بعض الكتاب التقدميين ولا سيما للتشرق لذلك هنا .

والطبيعة بين الموروث والمعاصر قد أدت بالبورجوازية الصغرى إلى انزعاجها وتفوقها وسكونيتها وصمتها وحياؤها بل وتزكيتها أحياناً للمد الرجعي في كثير من الاقطار العربية ، والاهتمام بجومها الذاتية والشخصية وعلاقتها مع الطبقة السفلى وهذا ما يشير إليه أحمد المديني ، وأنا الآن أتناول في صمتي وأقتات من دوخة الذاكرة ومن سفر الريح المشروخة إلى الذاكرة وأمن على الحشد الفضل بالنص والحكاية فإني حكاية تيريدون ؟ ، « وحين يلفظ الناس أشعر قلاع صمتي وترصد وقت خروج الحكمة » وهنا اعتراه عميق بالصمت الذي يخيم على المثقف ومدى تزكيته للوضع الفاسد عن طريق القص والحكاية (واية حكاية) عوض التنجيه والتحريض خصوصاً في هذه المرحلة المهمة التي يجتازها الوطن العربي .. غير أن هناك بالرغم من كل شيء فكرة مهمة كانت تعميمية تود الانطلاق والخروج من الصمت وإعلان العصيان صراحة ورفع راية الاحتجاج والتمرد عوض الاستسلام لزمان المجاعة ، « عبروا مع خيوط الفجر الأولى وحسبتهم يتحدثون معها : ليسوا من البشر وليسوا من غيرهم ولكنهم ضياء يسطع فوق الشمس » ، « عبروا هل كانوا ستة هل كانوا سبعة هل كانوا أمة هل كنا سنابك خيل التاريخ المرصودة بالأعدام (تكوين)

وعبر اللغة / الأدوات (التي تمزق الحواجز بين الممكن والمتخيل وبين علاقات اللغة وتتفجر على شكل غريب وعنيف) تصل القصة (اللغة) إلى ذروة التفجر ، لتلخص حافزها الأساسي في هناك استار اللغة / الوصف ، أنا لم أبدأ من خارج الصمت - اللغة - هناك الاستار واستفزاز لتسييم السلالة . اللغة تختفي فيك وحين يسهل فيك الأطلس الموقوف وتمتقنين من حضرة الأوجاع نجى ، مما في طوفاننا حين يفيض منك أم الربيع ونجلس ، معا ، سوياً جميعاً أيها السادة وتحدث اللغة للمعضلة .

أفنى متى تتكلم اللغة الكاملة ؟ هل ، ننتظر أن يخرج المجتمع من التخلف ؟ أم نعتبر عن حالة مجتمع جديد لم يولد بعد ؟ ... بيد أن على الكاتب أن يشارك في صنع المجتمع الجديد الذي تطمح به الجماهير .. وفي انتظار ولادة هذا المجتمع على المثقف أن يتحمل مسؤولية التعبير « المرحلي » عن قطاعات عريضة معرضة للإبادة في الوقت الزمان .. أنترى المديني يفعل ذلك ؟

فأى
يونيو 77

ملاحظات أولية حول كتاب « التطورات السياسية في المملكة المغربية »

للعربي الحدادي

تأليف : دوجلاس آي شغورد - ترجمة : الدكتور عائدة سليمان عارف - الدكتور مصطفى أبو حاكمة . دار النشر : بالاشتراك مع مؤسسة فرنكليف للطباعة والنشر - 1963 -
(قطع كبير - 670 صفحة)

حول التأليف والمؤلف :

1 - المؤلف يذكر انه موظف في « جهاز حكومي »، تخلى عن وظيفته ، التي يضمن له دخلا لعدة سنوات من أجل إنجاز مؤلفه . لا يذكر شيئا عن هذا الوظيفة في حين أن التعريف به في لائحة التعريفات لا يذكر عن المؤلف حتى هذه المعلومة بعموميتها، التي يذكرها في مقدمته للقارئ الأمريكي طبعاً . . .

2 - انه اعتمادا على مقدمة المؤلف يتضح أن المؤلف شبه جماعي ساهم فيه العديد من الأشخاص بالمراجعة والتنقيح ولكن لا نعرف عنهم شيئا رغم ذكره أسماء بعضهم في المقدمة .

3 - ان من وراء تمويل ، ومن ثم توجيه المؤلف ، العديد من المؤسسات المشبوه فيها ومنها « فورد » ودار فرانكلين التي مولت حق ترجمته للعربية الى جانب أخريات ذات صبغة « أكاديمية » . ولكن لعلنا بالعلاقة الوظيفية في النظام الأمريكي بين مختلف المؤسسات الجامعية و « العلمية » والدولة على جميع المستويات ليمنعنا من اعتبار الدافع « الاكاديمي » كعامل مباشر بل على العكس فالتوجيه السياسي والمخطط يوجد وراء كل أعمال هذه المؤسسات والأشخاص .

ظروف التأليف :

ان المرحلة التي أنجز فيها المؤلف تتميز باتجاه السياسة الأمريكية اكثر فأكثر نحو بلدان الشرق ومنها العربية منافسة في ذلك المراكز القديمة والتي كانت حكرا للأمبرياليين الفرنسية والانجليزية . فهو من ثم لا بد ان يكون خاضعا لها وخادما لمخططاتها في البحث عن مناهج ومناقص للتسرب والنفوذ .

هامش :

1 - يذكر المؤلف انه اعتمد في جمع المعلومات الى جانب مغاربة واعضاء سفارة بلده على فرنسيين « قاطنين في المغرب » طلبوا عدم اعلان أسمائهم ، ولا بد أن لهذا الامتناع دلالة في الاطار السابق .

2 - يركز المؤلف في مقدمته على شخصين من بين المغاربة الذين اتصل بهم يذكرهما وحدهما بالاسم (اليزيدي - بن بركة) ولا بد ان لهذا الذكر دلالة ترقى على أهميتها من ناحية المعلومات .

حول المنهج :

1 - أهم دعوى للمؤلف تسري لديه في ثنايا كل السطور هي القول بأنه لن يقيم بقدر ما سيصف وينقل الواقع كما هو ، والدعوات « الأكاديمية » من هذا القبيل واضحة الغرض وهذا المفهوم للعلم الاجتماعي معروف ما يخفيه في ثناياه من « ايديولوجيا » ، إذ ليس هناك وصف خالص بدون تقييم مطلقا فدائما هناك المواقف المسبقة والمنطقات الأساسية فضلا عن اضطراب صاحب الدعوى بين الحين والآخر للخروج و « الانزلاق » من « أسلوب » الوصف الى

اتخاذ مواقف وآراء وحتى اقتراحات وانتقادات تقييمية خالصة . ان
لاسهام لا يمكن أن ينطلي على المحلل حتى لو أوغل صاحبه أسلوبيا في الوصفية
والحياد .

2 - مفهوم صوري - شكلي للعلوم السياسية كوسائل للتقريب وللفهم
وصفية لا تعكس بالضرورة واتعا بصورة مباشرة ولا احتمالاته الغائية ولا
تقييمه يقف من الظواهر مواقف خارجية حيادية من أجل ان لا يجلها أو يتعمق
مدلولها التاريخي (اقتصادي - اجتماعي) موقف لا تاريخي .

3 - وفي النتيجة سقوط في التبرير فكل واقع يكتب شرعية وجوده
ومن تم استمراره من مجرد كونه واقعا « عنصر القوة » وبالتالي علينا ان لا
« نتعسف » عليه بالنقد أو غيره بل ان نكتفى بوصفه كما هو اي (قبله)
كما هو وتأكيد وتقييمه والدعاية له ، فالحق مع الجميع وما كان بالإمكان
غير ما كان . ان هذا هو الموقف الايديولوجي المسبق للكاتب وراء منهجه
الحيادي « الموضوعي » « الوصفي » « العلمي الاكاديمي » الخارجي .

4 - واخيرا يسقط هذا المنهج في اغراق القارئ في الجزئيات الصغيرة
وبحر من المعلومات التي لا نهاية لها ولا حصر فلا يستطيع الخروج بصورة
محددة أو حقيقية مضبوطة الا ما اراده له الكاتب في الثنايا من الحين الى
الآخر ، غابة من الواقع لا خريطة لها ولا نظام يضبطها ولا قوانين يمكن
اعتمادهما في السير وسطها للتعرف على حقيقتها ، انه تجهيل للقارئ في صورة
وهم بالتعرف والمعرفة لـ « الاشياء الصغيرة » وأشياء الحكايات غير التامة .
فالأحداث تترى دون سبب ظاهر ونفس الظروف قد تولد العديد من
الظواهر المتناقضة (فوضى) أي انعدام امكانية (العلم) بالواقع الاجتماعي
والسياسي عمليا .

5 - كثرة التعميم والنقص في المعلومة أو المعلومات (البتر) - والبسقوط
في تناقضات أحيانا - وتقييم مقترحات مرة مرة عرجاء شوهاء توضح فقط
حقيقة دوافع المؤلف .

المضمون :

رغمنا - اعتماد فترة الانتقال (استثنائية) قاعدة ومجالا للخروج بخلاصات
نظرية عامة .

الانطلاق من مفهوم محدد لكيفية سير النظام السياسي والدراسة على
أساسه واعتبار أن الاتجاه ماض اليه وحده وليس هناك من احتمال لاتجاه
آخر (اسقاط النموذج الأمريكي الرأسمالي والتقييم انطلاقا منه) .

- اعتبار الدولة (نظريا) كعنصر رئيسي في المسألة القومية بل الوحد
ومن ثم المفهومين (الدولة / الأمة) لدى المؤلف .

- ربط النشوء القومي بمرحلة وحسب من التاريخ (بداية الاستعمار)
دون الانتباه (ولهذا دلالتة) الى البدايات الاولى خلال القرن السابق وان ذلك

يعني طمس تاريخ النضال والنهوض القومي الاصح و ابراز تاريخ نشوء
(قوميتنا) في ظل المرحلة الاستعمارية بالاساس (مصادرة استعمارية
لتاريخنا تابعة للمصادرة الاقتصادية والسياسية) .

- غمض والغاء للتحليلات الاجتماعية والطبقية لحساب الوصف على
اساس « الجماعات » او عناصر القوة والنفوذ المختلفة والتي منها الاشخاص
ثميننا - بل فوق ذلك فهو يقول بأنه سيهتم بالجماعات والشخصيات
« الثانوية » ، وهذا يوضح حين يأتي بدون تفسير مقنع نوعا من غرضيات
الكتاب المسبقة التي لم ولن تجد لتأكيداتها سندا الا في الثانوي حقا والجزئي
الهامشي العارض، أما الرئيسي المؤثر (الطبقات مثلا) فيهمش ويصبح ثانويا -
- التحدث عن الحكم كشخص مفرد يمثل نفسه والأعضاء الكلي والمطلق
عن الطبقة - اعطاء هذا الاخير أهمية كبيرة جدا تفوق أهمية أي قوة اذاه .

- الحديث عن كون روح المقاومة الوطنية لم تبرز الا بعد 1936 وهذا
يعني تنقيصا من أهمية ثورة الريف مثلا التي كانت فيها بداية تلك « الروح » ،
من المرحلة الاستعمارية ، وكذا نسيان انبعاث تلك الروح خلال القرن السابق
بمفهوم وأفق قومي حقيقي وأوسع « العروبة » .

- الحديث عن قومية مغربية معزولة عن روابطها العربية .

- تأثير للنظرية الديموغرافية في تفسير الاوضاع (السكان أكثر من

الارض) .

- فرنسا خدمت المغرب وهيأته الاستقلال مع انتقاد بعض النقص في

عملها .

- الحديث عن مميزات ثابتة وصفات مميزة للمغاربة (انثربولوجيا) .

- تقديم النصائح ذات الطابع الاستعماري .

المنهج العام والخلاصات :

للكتاب ينطلق من مقومات نظرية في علم السياسة المقارن مدعيا ان
ادوات هذا العلم النظرية بالاضافة الي ضعفها فهي بصورة مخصوصة تعجز
عن تفسير الشروط الخاصة بالبلاد الحديثة القومية ومجهود المؤلف اذن
ليس من أجل دراسة المغرب بالاساس وانما لدراسة الشروط في هذه البلدان
الحديثة عموما متخذا التجربة المغربية ميدانا تجريبيا مناسباً لهذا المجهود
الذي يراعي العام دون الخاص في التجربة ، ما هو مشترك ليس فقط بين هذه
البلدان الاخرى بل بينها وبين العالم القديم باحثا عن سبيل له في ذلك عن
طريق دراسة السلوك السياسي لمصادر النفوذ والقوة التي تشكل النظام
السياسي ، الاشكال والمشاكل التي تتجلى في كل ذلك .

- الكتاب يتخذ مواقف نقدية دقيقة وصرحة بين الحين والآخر

للاستعمار الفرنسي او مختلف القوى السياسية الاخرى بما فيها الحكم .

- يأتي الكتاب في مرحلة صراع الامبرياليين الامريكية والفرنسية /

ان تأليف الكتاب تعبير عن مطامح امبريالية أعتى للاستحواذ على المنطقة مجليا عنها الامبريالية القديمة ، متخذا له أساليب في العمل جديدة ، وهو في هذا محتاج الى معرفة أكثر ما تكون دقة وموضوعية بالاحوال الخاصة بلحل المعني أو العامة بشعوب المنطقة عموما وهو طبقا لهذا الغرض يلتقي موضوعا مع أي باحث جاد وذكي يستطيع صياغة تحليل أوفى وأكثر دقة حول الموضوع المعين من أجل هذه الغاية سيعقد معه صفقة لا يهمه فيها ما قد تجره « موضوعية » الباحث وصراحته من « تطرفات » وتجاوزات أحيانا . ان ذلك الجانب سيعرف كيف لا يقرأ بقاتا ، أما ما يهمه حقا فسيستفيد منه خير استفادة عمليا .

وهكذا يمكن اعتبار الكتاب نتاج التقاء موضوعي بين نزعة الباحث نحو الدرس والبحث « الأكاديمي » - بمفهومه للاكاديمية على كل حال - وبين مصالح الامبريالية الامريكية ، وهذا هو ما يفسر ذلك الالتقاء وما يفسر أكثر قوة ذلك المجهود المضني حقا الذي بذله المؤلف وهو الى ذلك دراسة نموذجية لتجربة (الديمقراطية) الليبرالية في شروط العالم الثالث والدليل اللاموس على مدى فشلها المطلق . لا يسأل لماذا ؟ حقا من خلال الجذور الاقتصادية والاجتماعية (الالماما) ولكنه من خلال دراسته أشكال وأطر العمل السياسي (أي البناء الفوقي) يظهر هذا الفشل وينتهي اليه في خلاصات درن اقتراح مخرج ما . وليس مؤهلا للتعرف حقا على ذلك المخرج .

ان ما بقي هاما من الكتاب هو جملة معلوماته المفيدة نسبيا أمام شبه الفراغ . والتي يجب اعادة صياغتها وطرح أسئلة من حولها لتتيميها وتعديلها . ان كانت قد شوهت... النخ والاستفادة من كل ذلك في الخروج بالخلاصات الضرورية الى جانب بعض ملاحظات وانتقادات عابرة أحيانا أو مركزة تستحق الانتباه والاستفادة .

اما المنهج العام للكتاب والنظرية التي يستبطنها فلا يستحقان الا السرفس .